

تاريخ القبول: 2020/01/28

تاريخ الإرسال: 2019/12/14

تاريخ النشر: 2020/04/26

المنهج الأسلوبي: المبادئ والممارسات**The stylistic approach :the principles and practices**

طالبة الدكتوراه: شرابي الزهرة

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

المركز الجامعي تامنغست . alouanecherabi@gmail.com

المخلص:

عرفت الحركة النقدية المغاربية المعاصرة نشاطا فكريا مهما، حيث أصبحت الأكثر تأثيرا في حركة النقد العربي الحديث والمعاصر، من خلال جهود وممارسات العديد من النقاد، ومن بين هؤلاء النقاد نور الدين السد الذي جمع في كتابه (الأسلوبية وتحليل الخطاب) العديد من الآراء النقدية الخاصة بالأسلوبية بعدها منهاجا تنظيريا وتطبيقيا، وبالاغتماد على المنهج الوصفي التحليلي تتم الإجابة عن الأسئلة التالية: ما المقصود بمصطلحي الأسلوب والأسلوبية؟ وما هي الخطوات الأساسية لعملية التحليل الأسلوبي؟ وهل تمكن الناقد من تقديم الرؤية النقدية الشاملة حول عملية تحليل الخطاب الأدبي الشعري؟.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، النقد المغاربي، التحليل الأسلوبي، نور الدين السد.

Abstract:

The modern Maghriban critical movement has known an important intellectual activity when the Maghriban criticism practicing has become the most influencing in the Arabian criticism movement in modern time through the efforts and the

practices of plenty critics among them we find Nour Eddin Essad who collected in his book entitled the "stylistic and the discourse analysis" many of the criticising opinions especially about the stylistic as a theoretical and practical approach relying in that on the descriptive and analytical approach, so what does it mean the term style and stylistic ? and what are the essential steps for the operation of stylistic analysis? And does the critic managed to give the overall critical vision about the operation of analysing the literary poetic discourse?

Key words: The style, the Maghriban criticism ,the stylistic analysis, the critical practice, Nour Eddine Assad.

المؤلف المرسل: الطالبة شرابي الزهرة، الإيميل: alouanecherabi@gmail.com

1. مقدمة:

تعد الممارسة النقدية المغاربية الأكثر نشاطا وتأثيرا في الساحة العربية، لما لها من خصوصية وتميز، حيث أقبل النقاد المغاربة على الدرس الأسلوبي من ناحية الممارسة التطبيقية للمنهج على نصوص من التراث القديم والخطاب الأدبي المعاصر (شعرا أو نثرا)، على اعتبار الأسلوبية تستند على التطبيق المتواصل لمختلف معارفها المجردة في نظام توافقي يعرف بالمنهج واعتبرت علما جديدا ذا أصول لسانية مما جعلها علما قائما بذاته على مستوى التنظير والتطبيق ساعية للكشف عن مجموع الخصائص المكونة للنصوص عبر بنياتها النصية والتركيبية المتنوعة العاملة على إحداث الأثر والتأثير في ذهن القارئ أو المتلقي، هادفة من خلال ذلك إلى تقديم صورة واضحة ودقيقة لمكونات الخطاب الأدبي بشكله الشعري والسردى عبر الأزمنة المختلفة التي تولت نشأته وولادته لما لهذا الأخير من

خصوصية تكسب الخطاب الأدبي ميزته واختلافه عن بقية الخطابات في الأزمنة المتواصلة، حيث ركزت الدراسة البحثية على المجهود النقدي الذي قدمه نور الدين السد في كتابه (الأسلوبية وتحليل الخطاب) باعتباره حمل لنا العديد من الخلاصات النقدية التي تمكن الدارس والباحث من وضع لبنات أساسية تضبط الرؤية الصحيحة والفهم العميق والدقيق للمنهج وكيفية ممارسته في واقع الخطاب العربي، فهي تضم الآراء النقدية العائدة بشكل خاص إلى النقاد الذين حاولوا استيعاب المنهج وتطبيقه على الخطاب بشكل عام ونخص نحن بالدراسة التحليل (الخطاب الشعري).

وتبقى الغاية المنشودة تقديم صورة متكاملة عن المنهج الأسلوبي والسعي الجاد إلى تمحيص الآراء المتعددة الحاملة لكثير من الأفكار النقدية التي تستوجب الوقوف عندها لتبسيط محتواها حيث تصبح أكثر فهما ووضوحا للمتلقي.

2. مفهوم الأسلوب والأسلوبية:

يحدد لنا القول التالي مفهوم الأسلوب، إذ يراه " طريقة نوعية في النظم بما يطرأ على التركيب من تغييرات داخلية كطبيعة البنية خبرا وإنشاء، ونوعية العناصر وموقعية المكونات بعضها من بعض والدلالات الزمنية... وما إلى ذلك مما هو تابع للمعنى وأسير في قيادة الدلالة التي يصدر عنها شكل التركيب"¹، فهو بمثابة الآلة اللغوية التي تسعى إلى دمج المعاني المكونة للبنيات والتراكيب، محاولة وضعها في القالب الفني والجمالي المعبر عن القدرات الإبداعية لصاحبها والتي تستوجب فهمها وكشفها من طرف متلقيها؛ فلفظة "الأسلوب مطاطة يمكننا أن نستعملها عندما نتحدث عن عبارة قصيرة أو عن قطعة كاملة أو عن مجموع شعر الشاعر أو نثر الكاتب ويمكن أن نشير إلى الألفاظ وطريقة ترتيبها أو المعاني وطريقة سردها"²، من خلال الحملات الدلالية التي تطبع نسيج الخطاب الشعري منه أو السردية والتي

تسمح بالكشف عنه عن طريق ممارسة التأويل المنطقي القريب إلى صحة الحقائق الواقعية المنسوبة إلى أفكار الشاعر ورغباته المعبر عنها .

يرتبط مصطلح الأسلوب ارتباطا وثيقا بالأدب، وذلك "باعتبار الإبداع الأدبي يعد الأسلوب صفة ملاصقة للأدب، فهما تفاوت الأدب من كاتب لآخر أو اختلف شكله فإن للأسلوب حضوره القوي في مجال الأدب، بوصفه طريقة الكاتب في التعبير الأدبي فهو تجسيد خاص للأدب كما أن موضوع الأسلوبية المفضل هو الأسلوب، فغاية الأسلوبية هي الوصول إلى أبعاد الأسلوب الفنية والجمالية"³، فالإبداع يعد القوة الخفية الثابتة في النفس البشرية والمحفزة للأفكار لجعلها أكثر مرونة في إيصال المعاني إلى الأذهان بعد مزاجتها بالألفاظ والتراكيب مع ضمان تحقيق التميز و الجمال.

إن محاولة التقصي عن موقع الأسلوبية بين الأصناف اللسانية يبرزها أنها "اليوم هي من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردد، ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللسانيات معا"⁴، فهو العلم الوحيد بعد البلاغة الذي جعل للكلمات المنطوقة والمكتوبة قيمة وكيان محسوس يمكن من خلاله التوغل في اللغة بشكل أكثر دقة وفهم جوهرها من جميع اتجاهاتها المكونة لها فأصبح بذلك السند الصلب لجميع الأعمال البحثية التي اتخذت اللغة مادة دسمة للتحليل والشرح والتفسير .

وتحدد غاية الأسلوبية ومجالها في كونها "ممارسة لأنها علم بمهارة يحصل بمهارة لذلك تقتضي الأسلوبية من الدارس حسا إبداعيا لا يحصل الحد الأدنى المشروط منه إلا بطول العشرة للأدب وعمق الخبرة بالنصوص والتشعب بالتجارب الأدبية في نماذجها الهامة وجملة النصوص في صورها العامة"⁵، فحصول التجربة

الأدبية يضمن ترك الأثر في الذات الإبداعية والتي لا يمكن لها أن تحقق الهدوء والراحة إلا من خلال ترجمة كل تلك المشاعر والأحاسيس المتركمة داخل نفسية الأديب، وهي بذلك تساهم في ابتكار العالم المقيد بالألفاظ المحملة بالشحنات المتناغمة مع المعاني بشكل يلفت الانتباه ويهز القلوب بغية تحقيق التوازن الداخلي المرغوب به؛ "فالأسلوب الخاص بكل لغة ينطوي على مواطن قوة معينة ولولا ذلك لما صعبت ترجمت أشعار تاراس شيفتشنكو من الأوكرانية إلى اللغة الروسية القريبة منها"⁶، "لقد تم تصور الأسلوب في الإبداع الأدبي عموماً عند النقاد العرب في العصر الحديث على أساس المطابقة بين الذات والإبداع"⁷.

وتظهر الأسلوبية "من أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة في العصر الحديث والراصد لتيارات النقد العربي واتجاهات البحث اللغوي يلحظ أن هذا المجال ما يزال في بداياته المبكرة في نطاق الدراسات العربية، وهي أحد مجالات نقد الأدب اعتماداً على بنيته اللغوية دون ما عداها من مؤثرات اجتماعية أو سياسية أو فكرية أو غير ذلك ... أي أن الأسلوبية تعني دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير"⁸ الخاضعة إلى قوانين اللغة المختلفة الصرفية والنحوية، الإملائية وغيرها من القوانين؛ كما يعد علم الأسلوب "من بين العلوم اللغوية الحديثة وأنه وثيق الارتباط بعلم اللغة العام الذي يبحث في اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية تحكمها قوانين مشتركة بين لغات الأمم على اختلافها"⁹، فهي أهم ميزة تميز الجنس البشري حيث لا يمكن له الاستمرار والنمو من دونها لما تحققه في أدنى مستوياتها من تواصل سلس بين الأفراد، وما تساهم به في الحفاظ على تراث وأرشيف الحقب الزمنية الماضية بمختلف روافدها الثقافية المكونة لها.

وتبرز خصائص الأسلوب المميزة للخطاب الأدبي "على نحو ساطع بفضل وحدة شكله ومضمونه أي تنظيم وترابط عناصره وأجزائه على نحو يتيح إمكانية خلق

بنية معينة ومنظومة معقدة من التصوير الفني¹⁰، فما يطبع النماذج الأدبية المكونة من البنى والتراكيب كثيفة الحضور وغزيرة المعاني حضور الخيال المحفز من طرف الحس الإبداعي للذات الأدبية ومن ثمة حدوث ما يعرف بالنمو الطبيعي لمسارات المعالجة الذهنية للآثار النفسية من خلال ابتكار العوالم الفنية المترجمة بالأساليب المستخدمة للقولاب اللغوية؛ ليتبين لنا من خلال ذلك "أننا لا نستطيع أن نتكلم عن الأسلوب كلاما مستقيما يتجاوز حدود الانطباعية الجزئية أو الوقتية، ما لم نحدد مفهومنا للأفكار التي توجد في الأدب أو لا توجد فيه. وينبغي لنا عندما نحاول ذلك ألا ننسى أن هذا الأدب الذي نتحدث عنه ليس شيئا مجردا ولكنه سلاسل من الأصوات التي نسمعها بأذاننا، أو تتردد في حسنا السمعي الداخلي"¹¹، فكل تلك الشحنات الملخصة للأحداث الحسية الخارجية والرغبات الوجدانية الداخلية والدفينة في أعماق الذات المبدعة تحدد من طرف الدماغ على أنها أفكار وهي ترتبط ارتباطا مباشرا بالتقنية الخاصة والمميزة للأديب دون سواه، وهي مساعدة أيضا في تحديد كيفية صياغة والباس مختلف تلك الألفاظ اللغوية المترجمة للأفكار ثوبها الجمالي والإبداعي.

3. الممارسة النقدية للأسلوب :

1.3 كيفية التحليل الأسلوبي:

إن محاولة تحديد موضوع تحليل الأسلوب تبرزه ذلك "الوهم الذي يخلقه النص في ذهن القارئ، وهذا الوهم ليس بالطبع خيالا خالصا ولا تصورا مجانيا، فهو مشروط ببيانات النص ويمثولوجية أو أيديولوجية الحيل أو الطبقة الاجتماعية للقارئ"¹²، فعملية التحليل يجب أن تتضمن العديد من التقنيات المساعدة لها لكي تحضى بالنجاح والوصول إلى هدفها في الكشف الصحيح والدقيق لما يريد الأديب إيصاله للمتلقى عبر استخدامه للشفرات المغطاة بشتى أنواع الأساليب والتي لا يمكن

حلها والوصول إلى مغزاها من خلال استخدام السطحية في تفحصها والسذاجة في تفسيرها؛ إذ "المنهج اللغوي الأسلوبي يقوم أساسا على استنتاج أسلوب النص من جميع جوانبه، ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، هو أنه لا ينبغي أن تجعل فواصل كبرى بين دراسة النص وتحليله وبين علوم العربية، لأن ذلك يعد إجحافا في حق النص، وتبدأ المسلمات لا بد من التسليم بشرعيتها وقديسيتها"¹³.

حيث أنه لا يمكن أن يكون هناك نسيج لغوي مكون من البنى السليمة والألفاظ المعبرة والتراكيب الدالة ليستحق بذلك الوقوف عند طياته وتفصيله دون أن تكون هناك أيضا مجموعة كبيرة ومعقدة من الظواهر التي أسهمت في إيجادها كمنظومة لغوية جديرة بالنقد والتحليل، لذلك فهو يتطلب توفر العيد من المفاتيح لفك عوالمه الخفية؛ فالناقد الواسع الأفق يتذوق أعمالا مختلفة الاتجاهات و الأشكال وإذا كان العمل أضعف من أن يثير اهتمامه فمعنى ذلك أنه لا يستحق النقد، فكل نقد جاد ينطوي على حكم ضمني بأن العمل المنقود يستحق القراءة"¹⁴.

ويبرز بذلك التحليل الأسلوبي بعده عملا "ينبغي أن يمهد له بأعمال تحضيرية ليست من صميمه ولكنه لا يجرى إلا بعد حصولها، أهمها حل الإشكالات العائقة عن الفهم وتحديد الموازين التي بها تعرف قيم الظواهر لتطرح من الحساب كل ظاهرة مستعملة على غير وجه التوظيف الجمالي ... لتحديد مظاهر التعبير وعناصر الإضافة ومواطن الإبداع التي تقدمها النصوص المدروسة"¹⁵؛ فالولوج إلى أعماق النص ليس بالأمر السهل، فهو يتطلب من الباحث الإمام بمفاهيم علوم متعددة والتعرف على الخلفيات الثقافية المؤسسة للعمل مع الجوانب النفسية الطابعة لبصماته، والتي من خلالها يصل الأثر إلى المتلقي، بالإضافة إلى درجات الفطنة والذكاء التي يتمتع بها المحلل، فكل هذه المراحل وغيرها كثير تسهم في منح العمل المحلل مصداقية أكثر ورؤية أوضح.

وتتوزد الدراسة الأسلوبية في مقارنة النص الأدبي "على الوسائل والإجراءات التي تنتج العاطفة الشعورية أو أثر الوقائع اللغوية على الحساسية التعبيرية وبتعبير أدق: التعبيرات اللغوية من ناحية المضامين الاجتماعية لبيان علاقة التفكير باللغة أو علاقة الكلمة بالفكر لدى المنشئ والمتلقي، ومن ثم معالجة علاقة اللغة بالحياة التي يحياها كلٌّ منها في طابعها العاطفي"¹⁶؛ فالعلاقات التي تجمع بين أقطاب العملية الإبداعية لا تخلو من العاطفة الحاملة لمختلف الإسقاطات الشعورية الواعية أحيانا وغير الواعية في كثير من الأحيان والمسيطرة بشكل كبير على مسار القول الفني، إذ "ليس التحليل الأسلوبي بحثا عن الموافقات ولا في المفارقات بمعنى أنه لا يتأسس على ما في النص يوافق كونا موجودا من القواعد اللغوية وتقاليد الكتابة العادية أو الأدبية أو ما يخالف شيئا من ذلك، وإنما هو يتأسس على ما فيه انجاز للكلام يؤسس كونا خاصا بالنص المدروس لا هو الكون الموجود ولا الكون المنشود بالضرورة"¹⁷.

فهذا الكون الخاص بالأديب يكون مسؤولا عنه في كل تفاصيله وإيجاءاته الجمالية وإبداعاته التعبيرية، فالكل نابع من صميم أفكاره ومخيلته المشبعة بالتجارب الحياتية ذات الآثار الشعورية المطبوعة في أعماله، فلا يمكن لأي أحد غيره منحه الاستمرار والتجدد عبر طاقاته المشحونة من واقعه المعاش، "ذلك أن الأدب يقوم على جوهر اتصالي الأمر الذي يجعل التحليل الأسلوبي والتفسير الإعلامي للأدب يقوم على أساس النموذج الاتصالي، والهدف من العملية الاتصالية ذلك أن التحليل الأسلوبي يجب أن يقوم على أساس من الوحدة الاتصالية، فالأديب والأسلوب والوسيلة والمستقبل والاستجابة إنما هي جميعا متصلة في سلسلة واحدة"¹⁸.

فتحقيق التواصل الأدبي بشكل سليم يشترط صحة عناصر العملية التواصلية بدءا بالمبدع الذي هو المولد الرئيسي والمسبب لوجود التواصل من

الأساس، أما صحته؛ فتكمن في الاستخدام السليم لشفراته اللغوية وذلك ما يضمن الفهم الطبيعي للطرف الثاني (القارئ) من العملية التواصلية فيتحقق الأثر عبر الوسيلة المنتقاة لإيصاله، وتبدو أهمية التحليل الأسلوبي في أنه يكشف المدلولات الجمالية في النص وذلك عن طريق النفاذ في مضمونه وتجزئة عناصره، والتحليل بهذا يمكن أن يمهد الطريق للناقد ويمدّه بمعايير موضوعية يستطيع على أساسها ممارسة عمله النقدي وترشيد أحكامه ومن ثمة قيامها على أسس منضبطة¹⁹، وتعتبر عملية التحليل المركزة على الأسلوب بالدرجة الأولى من أدق عمليات التحليل لأنها تتبع اللفظة من ولادتها وخروجها من ذهن المبدع الأدبي مروراً بالصيغيات المختلفة المساهمة في تكوينها وصولاً إلى سبب نشأتها والخلفيات التي أقرت وجودها كلفظة منتقاة من معجم الأديب، الحاملة للدلالة مع المعنى المراد إيصاله عبر الشحنات المترجمة لأثر التجربة الأدبية .

ويرتكز التحليل الأسلوبي على ثلاث خطوات: "الخطوة الأولى: اقتناع الباحث الأسلوبي بأن النص جدير بالتحليل وهذا ينشأ من قيام علاقة قبلية بين النص والناقد الأسلوبي قائمة على القبول والاستحسان وهذه العلاقة تنتهي حين يبدأ التحليل، حتى لا تكون هناك أحكام مسبقة واتفاقات تؤدي إلى انتقاء الموضوعية وهي السمة المميزة للتحليل الأسلوبي"²⁰، فقبول إخضاع النص لعملية التحليل من طرف الناقد يؤكد تحقق الأثر في ذهنه وبذلك تثنينه للمنجز الأدبي، فهو من منظوره تركيب لغوي يستحق الولوج لمكوناته وتفكيك شفراته بغية الكشف عن بقية تفاصيله في أدق صورها، رغبة جامحة منه لإشباع فضوله المعرفي بالوصول إلى الدلالات العميقة وألغازه الخفية المكونة لنسيجه.

وتتمثل الخطوة الثانية في "ملاحظة التجاوزات النصية وتسجيلها بهدف الوقوف على مدى شيوع الظاهرة الأسلوبية أو ندرتها، ويكون ذلك بتجزئة النص إلى

عناصر ثم تفكيك هذه العناصر إلى جزئيات وتحليلها لغوياً، على أن ينوع الخاصية وتواترها بشكل لافت يحولها من حالة الانتهاك إلى ما يشبه التعامل العادي مع اللغة فالتحليل الأسلوبي يقوم على مراقبة مثل هذه الانحرافات كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات، أو بناء سلاسل متشابكة من الجمل، وكل ذلك مما يخدم وظيفة جمالية كالتأكيد أو الوضوح أو عكس ذلك كالغموض²¹، وتبقى التراكيب اللغوية المحملة بالطاقات الجمالية والنادرة هي غاية المحلل الأسلوبي فمن خلالها تظهر لنا درجة الإبداع عند المنشئ وقدرته اللامحدودة في الإتيان بالجديد وابتكار أنظمة لغوية تمسك بالمعاني و الدلالات في صورها الفنية وأنظمتها الإبداعية من جهة ومن جهة أخرى تخرج عن التقليد والقوانين الصورية المملة .

وتكون الخطوة الأخيرة "نتيجة لازمة لسابقتها تتمثل في الوصول إلى تحديد السمات والخصائص التي يتسم بها أسلوب الكاتب من خلال النص المنقود، ويتم ذلك بتجميع السمات الجزئية التي نتجت عن التحليل السابق واستخلاص النتائج العامة منها، فهذه العملية بمثابة "تجميع" بعد "تفكيك" ووصول إلى الكليات انطلاقاً من الجزئيات، وهذا يمكننا من الوقوف على الثوابت والمتغيرات في اللغة ووصف جماليات الأثر الأدبي وذلك بتحليل البنية اللغوية للنص، دون إغراق في وضعية اللغة التي تقضي بدورها إلى الوقوع في هوة الصنعة وقياس الأدب بمواجهته بنماذج عليا تجمد حركته، وتوقف نموه"²²، ففي هذه الرحلة التحليلية يتم إصدار الأحكام الصادقة والصريحة بعد أن يكون الناقد أشبع فضوله بالبحث والتحليل والتدقيق مع التفسير لكل مقاطع وتفاصيل النسيج الأدبي متوصلاً إلى أهم الخلاصات التي من خلالها قد يُسكت شغفه في البحث والتنقيب.

أما عن هذه النتائج فلا يمكن التسليم المطلق بصحتها فهي نسبية لكي يبقى مجال التحليل مفتوحاً ومستقطباً لنقاد آخرين سيتناولون النص الإبداعي من

مستويات مبتكرة وهذه سمة التحليل الأسلوبي أنه لا ليس لديه نقطة توقف ولا ينتهي بانتهاء عملية نقدية واحدة، بل يستمر إلى عمليات أخرى تستوجبها دواعي أخرى من وجهات نظر مختلفة.

2.3 تحليل الخطاب الشعري عند "نور الدين السد".

عرفت الحركة النقدية الحديثة والمعاصرة "في الوطن العربي نشاطا فاعلا في مجال التنظير للشعر وتحليله ويرى نور الدين السد أن كتاب طه حسين (الشعر الجاهلي) البداية الأولى للإنتاج التطبيقي في ميدان الدراسات الشعرية العربية الحديثة... إن كثيرا من هذه الدراسات التي اعتمدت الخطاب الشعري موضوعا لتنظيرها وتطبيقها كانت تستمد مرجعيتها في تحليل الشعر من التراث النقدي والبلاغي واللغوي والعروض العربي"²³، حيث كان علم البلاغة الركيزة الأولى التي اعتمد عليها النقاد، لما يوفره من أيقونات تساهم ولو بقدر معتبر في تأويل وفهم الشفرات اللغوية المنغمسة داخل النص، بالإضافة إلى أنها كانت مقننة تسهل بذلك على المحلل تطبيقها وفق القوالب التي تضمن صحتها من المفهوم العام.

ويؤكد الكاتب من خلال ما يورده في كتابه أن "المقاربات النقدية التي تدعي الأسلوبية سندا في التحليل دون اعتماد تقنياتها الإجرائية فهي مقاربات لا تنتسب إلى الأسلوبية إلا من حيث اسمها و خاصة إذا كانت لا تركز على أرضية لسانية، ذلك أن غاية التحليل هي تحليل الكيفية التركيبية للنص الأدبي وتشخيص مكوناته الأسلوبية وتعليل مقومات أدبيته، لأن هاجس الأسلوبي هو اكتشاف النمط الإبداعي الفني في النص"²⁴؛ فالناقد جعل لعملية تحليل الأسلوب صحيحة المسار والنتائج شرطا، وهو إتباع الخلفية اللسانية البحتة التي تضمن الكم المعرفي والمفاهيم المعتمدة على تشريح النص، ولا يكفي استيعاب مضامينها فقط، وإنما لا بد من ممارستها وتطبيقها على الحقل اللغوي، فهي في آخر المطاف موصلة إلى الأهداف

المرجوة منها حيث اعتبرت عند كثير من النقاد ناجعة في معالجة خبايا النص ومحددة لمواطن الإبداع فيه.

وتبرز بذلك حسب هذا الناقد خطوات التحليل الأسلوبية قائمة على "المنهج كحاجز معرفي بين الذات والموضوع، ويعتبر المنهج آلة الذي يكون من خصائصه أنه قادر على الاستقلال من الظرف وتجاوز ملاسبات بيئة المنشأ ويحقق لنفسه فعالية وقدرة على التحليل والتفسير، ولن يتم ذلك إلا بحلول الذات العاملة مع الآلة لتأسيس الواقع الجديد بمعنى أن الإجراءات المنهجية تكتسب فعاليتها في التحليل من خلال الرؤية العلمية الشمولية للظواهر المراد تحليلها موضوعياً"²⁵.

فالموضوعية في اتخاذ الأحكام وتأويلها تعتبر من العناصر الهامة التي تجعل من قراءة نقدية ما قراءة جديرة بالاعتماد عليها في التوصل للآراء القريبة من حقيقة الأثر الفني، لأنها تبعد فكر الدارس والمحلل عن تلك الأحكام العشوائية الغالب عليها الطابع الذاتي الخاص، فهي بمثابة صمام الأمان المؤدي إلى النتائج المنطقية؛ "حيث نشأت الحاجة إلى الموضوعية في الدراسات الأسلوبية كرد فعل ضد هيمنة النزعة الذاتية والانطباعية في الدراسات النقدية، فالناقد الانطباعي وهو يحلل عملاً فنياً، أو يقومه، أو يعلق عليه يجنح إلى استخدام مصطلحات جمالية، وأوصاف ناعمة لا تشير مباشرة إلى سمات لغوية في العمل المنقود"²⁶.

ويتأكد بذلك أن من عايش الشعر العربي القديم "يدرك أن دراسة نصوصه وتحليلها عقبة ذلك أن التحليل يتطلب منهاجاً واكتساب منهج ما أو تطبيقه يتطلب ثقافة واسعة وشاملة بالمنهج وأصوله وفلسفته زيادة على ما يقتضيه النص المحلل من ذكاء وفطنة يوازنان المعرفة بالمنهج"²⁷، لما تحويه تلك النصوص من غرابة في اللفظ المحاصر بالزمن الماضي البعيد، فكل زمن معجمه الجديد وطريقة الصياغة المناسبة لأفكاره وكيفية الإبداع الملائمة لمضامينه، فكك شفرات النص القديم من

خلال طريقة تفكير لا تخضع للمؤهلات نفسها، مع المطالبة بالوصول إلى الدلالات القريبة من الواقع المعاش ليس بالأمر الهين، لذا يجب على محل هذه النصوص الإحاطة الشاملة بكل الخلفيات المعرفية والثقافية والدينية واللغوية ...، للتمكن من ضبط التأويلات وكشف مواطن القوة والضعف في الأساليب المعتمدة؛ "حيث أشار الناقد عند تناوله لمحمد بوحمد في مقالته (تحليل لغوي أسلوبي لمقطوعة عمرو بن شأس الأسدي) وهي مقطوعة ميمية مكونة من ستة أبيات من البحر الطويل، أنه بدأ التحليل من حيث بدأ النص بمعنى أن مفتاح الدخول للتحليل كانت الوحدة اللغوية الأولى المكونة للخطاب"²⁸ وقصد بها:

أرادت عرارا بالهوان و من يرد عرارا -لعمري- بالهوان فقد ظلم

وأشار إلى أن الشاعر استهل بيته "بفعل ماضٍ مسند إلى ضمير المؤنث الغائب وأرادت و مرجع الضمير في الفعل زوجته وهي قريبة منه وملاصقة له حسياً، وكان من الأنسب أن يستعمل ضمير الخطاب لأنها الطرف الأساسي في الخطاب، والمعنية بشكل مباشر بموضوع الحديث"²⁹، وهذا ما يركز ويسلط عليها الضوء لتكون البؤرة المركزية التي تنطلق منها العديد من التساؤلات الاستفهامية من؟ ماذا؟.. الحاملة لمجموع الدلالات الغامضة، والتي يكون من خلالها المحلل مجبراً على الإجابة عنها إجابات مقنعة ترضي شغفه وحسه النقدي، كما أنها المحو الذي تدور حوله أحداث الخطاب ومجرياته الذي مزج فيه الماضي المباشر لما له جاذبية قوية في توجيه الكلام ولفت الانتباه إليه عبر عنصري التشويق والفضول لمعرفة جوهر الموضوع.

ويورد بعدها تحليله يقول: "ومما يعمق هذا البعد الدلالي الخفي لضمير

الغيبية ورود الفعل على صيغة الماضي فالماضوية فيه تومئ من طرف خفي إلى أن هذه الزوجة لم تعد تمثل بالنسبة للشاعر إلا جزءاً من الماضي الذي فات وانتهى،

هكذا يتضافر العامل الصرفي (صيغة الغيبية) والعامل النحوي (صيغة الماضي) في اكتناه دلالات لطيفة لم يصرح بها بشكل مباشر³⁰، ولو كان ذلك لفقد النص الكثير من الجمال والرونق والتألق اللغوي، حيث تصبح دلالاته مكشوفة للأذهان سهلة الفهم وسريعة المحو والنسيان، مما يقلل من قيمتها كبنية لغوية ذات مقاطع صوتية هادفة في إحداث الأثر المحفز عند المتلقي؛ وأسلوب القسم "لعمري" وهو جملة اسمية اعتراضية تخللت الجملة الشرطية، ويتساءل الدارس عن القيمة الدلالية لهذه الجملة فيلمح إلى أن القيمة الدلالية المباشرة لها هي تقوية مضمون الجملة الشرطية وتأكيد... ذلك أن - لعمري- في البيت تشكل حاجزا يفصل بين لفظتي عرار والهوان فورودهما بهذا الموقع يوحي بأن الأب ويمثله ضمير المتكلم في - لعمري- يحول دون الهوان على ابنه عرار³¹.

فالتنوع الحاصل في عملية الدمج بين التراكيب اللغوية الدالة هو في حد ذاته دلالة على تنوع وتداخل الطبقات الشعورية واللاشعورية الخاصة بالذات الشاعرة، الناتجة عن تأزم الأوضاع مع الرغبة في الوصول إلى الحل السريع الذي بإمكانه السيطرة عليها وإرجاع التوازن الداخلي لصاحبها، وهنا تكمن اللمسة الإبداعية المحفزة في خلق عوالم لغوية جديدة وغير مألوفا لدى القارئ تشعره بالمتعة والرغبة في استكشاف عوالم أخرى أكثر قوة وعمقا؛ "والتقنية اللغوية الثانية هي إتيان الشاعر بجواب الشرط على صيغة الفعل الماضي المقترن بقد، الذي يفيد التحقيق والتوكيد كما أن الفعل الماضي نفسه أسلوب من أساليب التوكيد، فالشاعر خالف بين الشرط فجعله مضارعا والجواب جعله ماضيا"³²، والتأكيد هنا أتى من باب العاطفة الأبوية الصادقة والمثبتة للحس النائر ضد الأوضاع التي مست الذات الشاعرة حيث أصبح لا مفر لها من المواجهة وتوثيق الحضور الفعلي المقر للرفض دون حساب للنتائج وردود الأفعال التي يمكن لها أن تطرأ على ساحة الأحداث.

ويستمر في استجلاء جماليات المقاربة الأسلوبية مؤكداً أن " النص يصور العاطفة الإنسانية الخالدة (حب الزوجة والولد) كما يصور الصراع النفسي المرير الذي عاناه الشاعر بين هاتين العاطفتين، وقد حاول جاهداً الجمع بينهما على صعيد واحد فلم يفلح فضحى بأحدهما مكرهاً ويتجلى هذا الصراع في ثنائيات الحضور والغياب التي تسود مجمل النص"³³، فمن خلالها يتم تصوير الصراعات الداخلية بين الذات الشاعرة ونفسها من جهة وبينها وبين ما يحاك لها من الخارج من جهة ثانية، فهي بذلك تلخص المواجهات الحاسمة بشكل دقيق، حيث أنها تسهم إسهاماً كبيراً في رسم الصورة الفنية الراهنة، كما يمكن لها التنبؤ عن نهايتها في آخر مطافها.

ويعتمد الناقد التونسي على " محمد بوحمدى لدقة الملاحظة عنده والقدرة على التحليل والتمكن من المنهج الأسلوبى الذي كان رائده في الاهتمام إلى كشف الحجب عن النص المتستر كما يشير إلى استنتاجات الباحث الموضوعية والتي استند فيها على الإحصاء وبذلك استطاع أن يدرس الظواهر الأسلوبية المشكلة لمجمل النص"⁴⁰، فهو المنهج المساعد في تقديم تمحيص دقيق لمختلف المفارقات اللغوية التي يمكن أن تكون قد اقتحمت النسيج الأدبي، فمن خلاله يمكن عدها وتصنيفها بشكل ييسر للدارسين الإطلاع عليها والزيادة من حجمها إن أمكن ذلك، فهو إذن الآلية البحثية الملائمة للمنهج ومن أدواته الإجرائية الفعالة في تقديم النتائج البحثية ذات الآراء النقدية القيمة والمعتبرة.

ويتجلى بذلك الخطاب الشعري نظاماً تكونه " العلاقات الإشارية والوقائع الأسلوبية والأبعاد الدلالية، تتشكل وحداته اللغوية ضمن أنساق بنوية يتحقق من خلالها نسيج النص، وبها يحقق أدبيته، فيثير المتعة ويمنح الفائدة وما دام الخطاب الشعري كذلك فإنه اكتسب طابعاً خاصاً في الممارسة النقدية العربية الحديثة، وبخاصة تلك التي حاولت تطبيق المناهج اللغوية الحديثة عليه، ومنها المنهج

الأسلوبي الذي أعرب عن جدارته في تحليل الخطاب الشعري وفق منظور شمولي وروية لا تستكين إلى الأحكام الانطباعية والارتجالية⁴¹، فالنظام الذي تفرضه الوحدات اللغوية أثناء عملية الترابط الأولية، يؤدي إلى إنشاء خطاب لغوي في شكله العادي ضمن صوره اليومية البسيطة، أما الترابط بنظام جديد وعلى مستوى أعلى يكسر النظام الأول، ويأتي بألفة جديدة تحافظ على القوالب اللغوية، وتؤدي الدلالة المطلوبة بنوع من الرتبة وتحديد للغرض؛ أما النظام في المستوى الثالث يكون متعدد الدلالات خارق للبنى اللغوية المنتقاة من طرف الأديب، فتكون خارجة عن العادة في التركيب والألفة في السماع والفهم، محدثة بذلك الأثر في ذهن المتلقي من خلال ما تحويه من إبداع وابتكار الأدبي.

4. خاتمة:

من خلال ما عرض وانطلاقاً من مبدأ التحليل الأسلوبي المنهجي الإجرائي الذي أسفر عن مجموع نتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

* - المحاولة الجادة في تأسيس أسلوبية عربية تتماشى مع التراث والهوية الثقافية للإنسان العربي، والأسلوبية في نظر نور الدين السد تخضع لقانون الممارسة قبل أن تكون قائمة بذاتها كما أن التحليل الأسلوبي ينبغي له أن يكون كاشفاً للعناصر اللغوية الإبداعية في صورها الفنية الجمالية.

* - الأسلوبية تعتمد المنهجية العلمية الواضحة إذ تنطلق من معايير ثابتة ومحددة لتحديد عناصر اللغة وتصنيفها وتفسيرها. فانتشار ظاهرة الأسلوبية في النقد العربي الحديث تعود إلى سبب رئيس هو الرغبة الملحة في تأسيس منهج علمي كفيل بدراسة الظاهرة الأدبية مع اختلاف أزمنتها وظروف نشأتها؛ إذ تعد محاولة لوضع الأسلوبية وتطويعها بشكل يلائم الخطاب بشكليته الشعري والسردية قديماً وحديثاً، ويصبح بذلك

المنهج الأسلوبي صالحا لعملية تحليل النصوص باختلاف بنياتها التكوينية وأزمناها المولدة لها.

*- جل الآراء النقدية التي قدمها نور الدين السد في كتابه تتفق في نقطة أنه لضمان سلامة العملية النقدية الأسلوبية يجب التسلح بالأدوات الإجرائية الخاصة بالمفاهيم المستندة على الفلسفة الأصل أي الخلفية اللسانية، كما أنها تشترك في فكرة أن التحليل النقدي الأسلوبي الذي لا يتمكن من الكشف الدقيق لخبايا النسيج اللغوي والتعرف على مواطن الهزات الإبداعية التي تمس تراكيبه اللفظية ودلالاته المشكلة لها، يعد مجهودا فاشلا حيث لا يمكن عده نقدا بناء يساعد في نمو العملية التحليلية وتطويرها بتقديم النتائج المرجو الوصول إليها، وبذلك فتح المجال للمزيد من التفاعلات اللغوية المثمرة بكل ثقة و مصداقية.

5. هوامش البحث

¹- نوارى مسعود أبو زيد، جدلية الحركة والسكون، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص47.

²- شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة مبارك العامة، الجيزة، ط 2، 1992، ص13.

³- رشاد كمال مصطفى، أسلوبية السرد العربي، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط 1، 2015، ص 25.

⁴- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط 3، ص 24.

⁵- محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1992، ص8.

⁶- أ. ف تيشيترين، الأفكار والأسلوب، تر حياة شرارة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق - بغداد، ص 9.

⁷- حميد لحميداني، أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1989، ص 11.

⁸- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية، تقديم طه وادي، مكتبة الآداب، القاهرة 2004، ص7.

- ⁹ - شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، ص 51.
- ¹⁰ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، دار هومة، الجزائر، 2010، ج1، ص69.
- ¹¹ - شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، ص 17
- ¹² - ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، تر حميد لحميداني، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص 8.
- ¹³ - عبد الرحيم الرحموني. محمد بوحمدى، تحليل لغوي أسلوبي لنصوص من الشعر القديم، منشورات بونة، الجزائر، ط1، 2009، ص 8.
- ¹⁴ - شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، ص 39.
- ¹⁵ - محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، ص10.
- ¹⁶ - نازك الملائكة، أسلوبية اللغة، مخطوط أطروحة الدكتوراه، جامعة بابل، 2011، ص28.
- ¹⁷ - محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، ص 10.
- ¹⁸ - محمد عبد المنعم خفاجي. محمد السعيدى فردو. عبد العزيز شرف، الأسلوبية والبيان العربي، ص 15.
- ¹⁹ - فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص 52.
- ²⁰ - نفسه، ص 55.
- ²¹ - نفسه، ص 55.
- ²² - نفسه، ص 56.
- ²³ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص137.
- ²⁴ - نفسه، ص142.
- ²⁵ - نفسه، ص147.
- ²⁶ - محمد بوحمدى. عبد الرحيم الرحموني، التحليل اللغوي الأسلوبي منهج وتطبيق، منشورات بونة، الجزائر، ط1، 2009، ص13.
- ²⁷ - نفسه، ص5.
- ²⁸ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص169.

²⁹- محمد بوحمدي. عبد الرحيم الرحموني، التحليل اللغوي الأسلوبي من الشعر القديم،

ص13.

³⁰- نفسه، ص 14.

³¹- نور الدين السد، الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 171.

³²- نفسه، ص172.

³³- محمد بوحمدي. عبد الرحيم الرحموني، التحليل اللغوي الأسلوبي من الشعر القديم،

ص22.

⁴⁰- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص173.

⁴¹- نفسه، ص173.